

هذه المسحة الموسيقية، ستجعل الأداء الشفوي للنص الشعري يأخذ أشكالاً أخرى تتعدى مجرد الإنشاد إلى الأداء الغنائي الصرف حيث نقف على أوضح صور التلازم بين الشعر والموسيقى والغناء. هذا الشكل الأدائي المتطور والمركب نجده على سبيل المثال لدى بعض الطرق الصوفية حيث الاحتفاء بالشعر الموقع في حلقات الشعائر والأذكار، وحيث تمتزج إيقاعات الآلات النقرية (دفوف أو طبول . . .) بالأصوات المنشدة، وحركة الأجساد المترنحة .

هذا المثال يمنح إمكانية تمييز صيغتين إيقاعيتين موسيقيتين: أولاهما تخص الإيقاع الداخلي للشعر من خلال وقائعه النظمية (نبر، وقفات، إيقاع) وأدواته الصوتية (القافية). وهذا الشكل المركب لأداء الشعر يعتبر عودة بالإنسان واللغة الشعرية إلى منابعهما الأولى، باعتبار «أن اللغة الإيقاعية أو ذات الوزن الشعري كانت تصاحب دائماً، قبل اختراع الكتابة، بموسيقى بدائية من نوع ما (. . .) وأن الموسيقى نفسها ولدت في وقت واحد مع الشعر البدائي، وأن الإيقاع الجسدي البدائي المعبر عنه بالإحياءات والقفزات، وبالكلمات المنطوقة عالياً، والصرخات الخالية من المعنى، وبالأصوات الاصطناعية التي تصدرها العصي والحجارة، هو الأب المشترك للرقص، والشعر، والموسيقى . . .»⁽²⁸⁾.

ونحن إذا تأملنا النص الشعري العربي القديم، في قالبه النموذج، وجدناه يقدم عبر الوزن والقافية موسيقاه الطبيعية، ومقومات إنشاديته إذ أن «الإيقاع العروضي والقافية، يكتسيان أهمية كبرى . . . باعتبارهما الوسيطتين اللتين انطلقاً منهما يمكن إدماج الموسيقى في اللغة . . .»⁽²⁹⁾.

هذا عن المظهر الإنشادي للشعر. ويتبين مما تقدم أن تناول كان عاماً بحيث تم الاقتصاد على المظاهر القابلة لأن ترصد كجشطالتات تبرز كلما تعلق الأمر بالأداء الشفوي للنص، كما سعينا إلى توضيح أولية الأداء الشفوي في التلقي حتى ولو تعلق الأمر بنصوص مكتوبة، على اعتبار أن فعالية القراءة كانت مرادفة للأداء الصوتي بصوت مرتفع، وأن القراءة الصامتة التي نمارسها اليوم لم تعرف إلا في أزمنة لاحقة لابتداع الكتابة (القرن الرابع الميلادي).

1.1.3 - تاريخية الاشتغال الفضائي في النصّ الشعري العربي :

1.1.1.3 - الشكل النموذج :

إلا كان التحقق الصوتي للنص في صيغته الإنشادية يمنحه تبنياً زمنياً، ومن ثمة

(28) كريستوفر كودوبيل، الوهم والواقع - دراسة في منابع الشعر، دارالفارابي، 1979، ت: توفيق الأسدي، ص. 18.

(29) د. دولاس وج فيليولي، (1973)، ص: 163.